مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد11/ العدد: 01 (2023)، ص: 491-502

فلسفة التّداخلات النّصّية في شعر عيسى لحيلح _ مقاربة نصّانيّة _

The phylosophy of the text overlaps in Issa Lhilah's poem – Textual Approach-

[1] الباحثة : نوال بوعمامة ، جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
الإيميل المهني للباحثة :nawelbouamam65@gmail.com
[2] المشرف : الأستاذ الدّكتور عليى ملاّحي جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
الإيميل المهني للمشرف : Doc_ali@ hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2023/01/13 تاريخ القبول: 2023/02/18 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

البحث محاولة لإبراز فلسفة التّداخلات النّصّية في شعر عيسى لحيلح ، تمّ التّطرّق من خلاله إلى أهمّ المرجعيّات الّتي اعتمدها الشّاعر واستمدّ منها مادّته الشّعريّة ، فتبيّن بعد الدّراسة أنّ النّصّ القرآنيّ والحديث النّبويّ الشّريف كانا أهمّ هذه المرجعيّات والمصدر الأوّل الّذي اعتمده الشّاعر ، بحكم أنّ النّصّ الدّينيّ نصّ مقدّس والقرآن الكريم صالح لكلّ زمان ومكان يحافظ على بقاء النّصّ الشّعريّ ويجعل منه نصّا متجدّدا ومرجعا لغيره من النّصوص اللّاحقة ، إضافة إلى النّصّ القرآنيّ والحديثيّ كان التّراث العربيّ بما فيه الشّعر القديم والأمثال والحكمة والشّعر العربيّ الحديث وكذا الأسطورة ، مرجعيّات أخرى للتّداخلات النّصّيّة في شعر عيسى لحيلح جعلت من شعره مصبّا لهذه النّصوص الغائبة فتداخلت معه لتشكّل فسيفساء نصوص متداخلة . وقد استقرأ البحث

اهمّ جماليّات هذه التّداخلات الّتي تراوحت بين جماليّة تكثيف التّجربة الشّعريّة وجماليّة إيقاظ الذّاكرة الشّعريّة ..

كلمات مفتاحية: التّداخلات النّصّيّة ، عيسى لحيلح ، فلسفة التّداخلات النّصّيّة

We dealt with the main most important references which the poet considered and took from it his poetic matter . After studying , we found that the quranic text and hadith of the noble Prophet were the main references and the first resource that was adopted by the poet , As relegions text is a sacred text , and the Quran is good whenever and wherever , keeps the staying of the poetic text and made from it renewed text and a reference to otherlater text . In addition to Quranic text and Hadith , the Arab heritage, including the ancient poetry and proverls and judgements and modern Arabic poetry and the legend , were another referencesfor text overlaps in Issa Lhilah's poem, made from his poet downstream for these texts .It interturned with him to form a mosaic of overlapping texts.

This research explored the most important aesthetic of these overlappings ranged between the aesthetic of intensifying the poetic experience and awakening poetic memory , as well as the aesthetic of generating new connotat

Keywords: the text overlaps in Issa Lhilah's poem Issa Lhilah's, The phylosophy of the text overlaps

---

***المؤلف المرسل:** نوال بوعمامة

1. مقدمة

للشّعر المعاصر لغة جديدة ارتآها الشّاعر مادّة للكتابة، وخلق لنفسه آليات تتماشى وخلجات الذّات الشّاعرة، وحتّى القارئة على حدّ سواء. ومن بين الآليّات الّتي اعتمدها الشّاعر المعاصر في شعره آليّة " التّداخل النّصّي" أو ما يسمّى بتداخل النّصوص وتعايشها في نصّ واحد، ليصير النّصّ الحاضر مصبّا لنصوص أخرى غائبة يستحضرها الشّاعر لغرض دلاليّ أو إشاريّ أو لغويّ ...أو جماليّ بالدّرجة الأولى.

كثيرا ما اهتمّ الباحثون بدراسة الشّعر العربيّ الحديث فأشبع دراسة ، في حين ظلّ الشّعر الجزائريّ حبيس نفسه في المؤلّفات والدّواوين ، لذا ارتأيت أن أجعل شعر عيسى لحيلح موضوع هذا البحث .

فالبحث محاولة لإثبات جدارة النّصّ الشّعريّ الجزائريّ ووجود نماذج جادّة قابلة للدّراسة والاختبار.

فما مفهوم التّداخل النّصّي يا ترى؟ وما المرجعيّات الثّقافيّة الّتي استلهم منها عيسى لحيلح نصوصه؟ ؟ وما هي أهمّ جماليّاتها؟

بعد اطّلاعي على بعض نصوص الشّعر الجزائريّ المعاصر، شعرت أنّ التّجربة الشّعريّة الجزائريّة بحاجة إلى قراءة تناصيّة لتفاعلها مع تجارب شعريّة سابقة عنها ومتزامنة معها، فوجدت أنّه لا بدّ من قراءتها لمعرفة الخريطة الثّقافيّة الّتي تنتمي إليها لاكتشاف دور العامل الثّقافيّ في تشكيل النّصّ الشّعريّ الجزائريّ المعاصر.

من هنا ؛ أخذت هذه الدّراسة أهمّيتها ؛ فهي دراسة نظريّة تطبيقيّة تتبّعت الخيوط الّتي حاك منها الشّاعر نصوصه .فأنتج منها نصوصا جديدة تحمل خصوصيّاتها

بعد هذا اتّضح أنّ المنهج الأقرب لخوض هذه الدّراسة هو "المنهج الأسلوبي الجمالي " الّذي يعتمد على تحليل المادّة الشّعريّة واستكشاف قيمه الجماليّة ، وتوضيح غلبة نصّ على آخر تبعا لمستوى تعامل النّصّ الحاضر مع النّصّ الغائب.

لا أخفي عليكم مدى تقديري للجهود النّقديّة المعتبرة الّتي قدّمها نقّادنا في هذا السّياق من خلال كتبهم ومؤلّفاتهم النّقدية ؛ محمّد مفتاح ؛ تحليل الخطاب الشّعريّ (استراتيجيّة التّناص) ، جمال مباركي ؛ التّناص وجماليّاته في الشّعر الجزائريّ المعاصر ، ... وغيرهم من النّقّاد الّذين أفادوني بكتبهم النّقديّة القيّمة .

2. مفهوم التّداخل النّصّي :

يجمع المهتمون بظاهرة التناص أن ميخائيل باختين أول من وضع مفهوم التناص في العشرينيات من القرن الماضي، لتتبناه لاحقا جوليا كريستيفا Kristiva في الستينيات من القرن نفسه **عبد الجليل مرتاض، التّناص ، ، د.ت ، ص 13**

أين أصبح النص في منظورها" لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، فكل نص يستقطب مالايحصى من النصوص التى يعيدها عن طريق التحويل، و النفي أو الهدم و إعادة البناء، لينطوي على أبنية متعددة ، متنوعة، متوالدة ". **عصام حفظ الله حسين واصل، 2011 ، ص 15**

والدارس للخطاب البلاغي العربي القديم في مصادره الأصلية، يجد قضية تداخل النصوص و تراكمها فوق بعضها البعض قد انتبه اليها بلاغيونا القدامى، و شغلت حيزا كبيرا من دراستهم النقدية، و كان هدفهم الأول من تلك الدراسات الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة الى أصحابها". **بدوي طبانة، السرقات الأدبية، ص 3**

وبالنسبة للشعر العربي المعاصر وخاصّة شعر الثّمانينيات منه ، نلمس اتّساع حقل التداخل النصي ،رغم أنّنا لا نستطيع الإحاطة المفصلة بكلية النصوص

الغائية فيه لأنّها لا نهائية ، ثم لأنّها أيضاولّدت في حالات عديدة ما سماه "جيرارجينيت" بالعلاقة البكماء. ولكن اعتماد الشعر نصوصا من خارج الذخيرة الشعرية العربية، أو مما هو غير متداول فيها ، يدلنا على أن عينة نصوص الشعر الثّمانينيّ _ وعلى رأسهم الشّاعر الجزائريّ عيسى لحيلح _ مكثّفة بنصوص غائبة قدمت من أمكنة ثقافية وحضارية متنوعة يمكن من خلالها رصد ثقافة موسوعية أصبحت تميز الشعراء المعاصرين الذين اقتنعوا بأن الحرية معرفة تجاوز الأزمنة كلّها

ورغم هذه التّعريفات العديدة المستعرضة الّتي حاولت تتبّع مفهوم التّناص ورصده إلاّ أنّنا لم نعثر فيها على تعريف لأيّ واحد من هؤلاء الباحثين نطمئنّ إليه ونستطيع تطبيقه على النّصوص الإبداعيّة ، ومن ثمّ وجب علينا استخلاص مقوّمات التّناص من مختلف هذه التّعاريف: **(محمّد مفتاح ، 1992 ، ص21)**

_ إنّه فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت في النّصّ المقروء بتقنيات مختلفة .

_ يمتصّها المبدع ، ويصيّرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده .

_ يحوّلها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلائلها أو بهدف تعضيدها .

3.المرجعيّات الثّقافيّة للتّداخلات النّصّيّة في شعر لحيلح:

إنَ تعدد المصادر والمرجعيات الني يستحضر منها شاعرنا –عيسى لحليح _نصوصه الغائبة تجعل نصوصه الحاضرة حقلا معرفيا ونسيجا ثقافيا لا يستطيع تفكيك الخيوط التي حيكت منها، وساهمت في تشكيل بنيتها الإنشائية والدلالية إلا القارئ الخبير بهذا المخزون المعرفي(جمال مباركي ، ص325)

لقد كان القرآن الكريم رافدا مهما عند هذا الشّاعر إلى جانب عدَة روافد أخرى كالرافد الحديثي الشريف، والرافد التراثي ... لذلك يمكن ملاحظة تداخل

نصوص هذه الروافد في متن الشعر عنده ، وهو ما يسمح لنا بتتبع عدَة نصوص تفاعلت مع نصوصه واستنبطت منها.

1.3.القران الكريم والحديث النبوي الشريف:

أ/ القران الكريم:

بعد مجيء الإسلام توهم بعض الدارسين و قالوا: إن الإسلام لم يشجع الشعر و دفع الشعراء الذين ملأ الإيمان قلوبهم إلى التحرج و الانزواء (سعود عبد الجابر، ص 17) و ذلك لقوله تعالى: ﴿**و الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(226)** ﴾ (الشعراء : 224 الى 225) و ذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى أن هذه الفكرة فكرة سقيمة و غير مقنعة لأسباب عديدة أهمها أن الإسلام أغنى ألفاظ العرب و معانيهم قديما و حديثا بما استحدثه من نظم و مسميات (**سعود عبد الجابر ، ص 18)**، و لعل أكبر دليل على ذلك ما نعرفه اليوم **بالتناص القرآني**، الذي يدرك الإنسان من خلاله أثر القرآن الكريم في تطور الشعر المعاصر.

لقد أخذ شاعرنا من القرآن الكريم الكثير من تراكيبه، تتألف فيها مبانيها، بمعانيها فتتموقع وتتناغم في صورة لا يرقى إليها لا أشعر الشعراء ولا أغنى القوافي.

ولسورة يوسف تأثير قوي على عيسى لحيلح استهواه فيها تشكيلها القصصي الأخاذ، وبيانها الساحر وتُعدّ من أكثر السّور القرآنيّة الّتي تأثّر بها وأسرت قلبه ، لما تحمله من معاني الظّلم والخيانة...

ويستحضر عيسى لحليح العديد من أيات سورة يوسف في قصيدته" **منافقة**" حيث نسجّل تداخلا نصّيّا في قوله:

قولي...لماذا كذبت على ماما.

وجئت على قميص بدم كذب علامة

وقلت: أكله الذئب

وعللتها بالصبر الجميل وبالسلوان

وأنت التي ألقيتني في جب الجب

وتركتني من الموت البطيء أعاني

وقلبي ماراود قلبك عن نفسي

وها وريدي قدُّ من دبر

وشرياني (عيسى لحيلح ،

ص15_16)

فالشاعر يتناص مع العديد من الآيات في سورة يوسف ليشكل منها صياغة جديدة تفي لمطلبه النفسي وهذا التداخل النصي ظهر على مستوى الشكل والمضمون. (جمال مباركي ، ص 180)

أ/ على مستوى الشكل: إن النص يمثل استعادة من دوال القرآن الكريم في سورة يوسف ، ويتجلى ذلك من خلال البنية السطحية النصية(التمظهر اللفظي للنص)،(جئت على قميص بدم كذب، أكله الذئب، ألقيتني في الجب، قد من دبر) أي أن هذه الملفوظات مستحضرة من عدة أيات في سورة يوسف، أعاد الشاعر توزيعها ونشرها في خطاب، ومن خلالها نتبين هوية النص وخصائصه والآيات التي اشتغل عليها الشاعر هي:

قوله تعالى :"لاَ تَقْتُلوُا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْض السَّيَّارَة إِنْ كُنتمْ فَاعِلِين" (سورة يوسف ،الآية 10)

وقوله تعالى:" يُا أبانُا إنَّا ذهبنَا نَستبق وتركنَا يوسفَ عِندَ متاعِنا فأكلهُ الذئبُ ومَا أنتَ بمؤمنٍ لنَا ولوْ كنَّا صَادقين، وجَاءوا عَلَى قَمِيصهِ بدمٍ كذبٍ قالَ بلْ سولتْ لكمْ أنفسكم أمرا فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعان علىْ ما تصفون" (سورة يوسف ، 17_18)

ويواصل الشاعر استلهامه لآيات أخرى من السورة نفسها، وذلك في **قوله تعالى:" قالَ هيَ راودتنِي عنْ نفسيْ وشهِدَ شاهدٌ منْ أهلهَا إنْ كانَ قميصهُ قدَّ منْ قبل فصدقتْ وهوَ من الكاذبين وإن كانَ قميصهُ قدَّ من دبرٍ فكذبتْ وهوَ مِنَ الصُادقين"**

فالنص إذا موضوع في علاقة مع نص قرآني سابق ساهم إلى حد كبير في بنائه.

ب/ على مستوى المضمون: إن هذه الآيات تستجيب لتجربة الشاعر الحياتية وما يعانيه فيها من غربة وعزلة، كما تساير أحلامه الخاصة في تغيير واقعه، فاستعاد قصة يوسف وما عاناه من إخوته وذل العبودية وافتراء امرأة العزيز.

ويقول أيضا: **" قال صحبي صبرا ستأتي عصور**

فيها يغاث الشمال والجنوب ويعصران"

(عيسى لحيلح ، 1985 ، ص08)

فكلمة " يغاث" هي اقتباس لقوله تعالى:" **ثُمَّ يَأتِي مِنْ بَعدِ ذَلِكَ عامٌ فيهِ يَغاثَ النَّاسُ وفيهِ يَعْصرون". سورة يوسف ، الآية 88**

فالشاعر يستعمل فعل " **يغاث**" الذي يرمز إلى الفرج بعد الضيق وهذه الدلالة ترسم شخصية يوسف عليه السلام، كما وردت في القرآن الكريم وما عانته من كذب ونفاق وذلك في سورة يوسف التي تعتبر فاصلا من الحزن إلى الفرج.

لقد استقطبت قصة هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام الكثير من الشعراء، فاستعاروا من القرآن الكريم الآيات التي تروي تفاصيلها" لأن قصتهما " **تعد رمز الخطيئة الأولى التي مارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان، ورمز الشر الذي لم يتوقف حتى الآن"إبراهيم نمر موسى ، 2005، ص94**

يقول عيسى لحيلح في قصيدته المشهورة " **وبقيت وحدك في المطار**" :

وبكيت وحدك في المطار

" قابيل" خلفك والغراب

لا ملجأ للاجئين، من الدمار إلى الحصار إلى الخراب

لا تشتك..

لا شيء.. سيفك غار فيك

لا تتكئ.فبنوك من قتلوا بنيك..

مأساتنا " قابيل" ونحن " هابيل" المكفن والغراب

كن خندقا أو فندقا وسحابة تلد السحاب...

(عبد الله عيسى لحيلح ، 2018 ، ص 54)

شبه الشاعر مأساة العرب المشتت بقابيل ابن آدم عليه السّلام الذي قتل أخاه هابيل حسدا وأنانية، وعجز على أن يكرمه بدفنه حتى أرشده على ذلك غراب، فهابيل لم تشفع له الأخوة، وقتل على يد أخيه، وهذا يشكل تداخلا نصيا مع القرآن الكريم في قوله : **مأساتنا " قابيل" نحن. ونحن" هابيل" المكفن والغراب" وهو تناص مع الآيات:**

قال تعالى:" **واتلُ عليهمْ نبأَ ابني آدمَ بالحقِ إذ قربَا قربانَا فتُقبل من أحدهمَا ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنَّك قالَ إنَّما يتقبلُ اللهُ منَ المتقينَ(27) لئنْ بسطتَ إلي لِتقتُلَنِي مَا أنَا بِباسِطٍ يديُ إليكَ لِأقتلكَ إني أخافُ اللهَ ربَّ العَالمين(28) إنِي أريدُ انْ تبوءَ بإثمِي وإثمِكَ فتكونَ مِن أصحابِ النَّار وذلكَ جزاء الظَّالمين (29)فطوعتْ لهُ نفسهُ قتلَ أخيهِ فقتلهُ فأصبحَ من الخاسِرين(30) فبعثَ اللهُ غُرابَا يبحثُ فِيْ الأرضِ ليريهِ كيفَ يواريْ سوأةَ أخيهِ، قالَ ياويليْ أعجزتُ أنْ أكونَ مِثلَ هذا الغُراب فأوارِي سوءةَ أخِي فأصبحَ مِنَ النَّادمِين(31)" المائدة: الآيات 27-31**

فالشاعر استحضر قصة هابيل وقابيل تعبيرا عن خيانة العرب للفلسطينيين وتجاهلهم للقضية الفلسطينية

ب/ الحديث النبوي الشريف:

يأتي الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث إشراق الكلمةوفصاحة اللقط وبلاغة القول، ومن أبرز سيمات بلاغته الإيجاز؛ **وقد قال صلى الله عليه وسلم": إني أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصار"(عبد الرحمان بن رجب الحنبلي، 2001، ص 54)**

ومن أمثلة التداخل مع نص الحديث النبوي الشريف **قول عيسى لحليح** في تداخل مع قوله صلى الله عليه وسلم:" **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى"**

(محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري ،ص 398)

وذلك حين يقول:"

ويلهو يمين بالشعوب مخادعا ولا بأس أن يسري اليمين يساريا

ويبغي يسار في الحياة تيمنا فيهفو يمين لليسار مصافيا

وعلمت أفلامي، وجبر محابري شموخا فشدت النجوم رحاليا

(عيسى لحيلح، 1985، ص17)

نلحظ في البيت الأخير أن الشاعر أقرب إلى الاقتباس النصي الجزئي من الحديث النبوي الشريف، ففي عجز البيت **(فشدت النجوم رحاليا)** قد أتى ببداية نص الحديث مع إدخال كلمة (النجوم) ليستقيم الوزن؛ فضلا عن تأكيد مهمته النبيلة وهي عدم الخضوع والخنوع .

ويستحضر **عيسى لحيلح** حديثا نبويا آخر في قصيدته" **ودع أمامه"**

تخرب العشق" ليلى" من تخربها

فالعاشقون تقاضوا حق ما درفوا

يارب والعصر الإعصار يعصرنا

ضب الرشيد...فأين الهدى والسلف؟

نحن اكتوينا بنار العشق موصده

من يقبض الجمر يكوى، لا كمن يصف

(عبد الله عيسى لحيلح، 1985، ص87)

فعبارة" من يقبض الجمر يكوي لا كمن يصف؛ الواردة في عجز البيت الثالث ترمز إلى أن العشق أصبح كالنار تكوي حينما تلمس، وهذا ما يشير إليه الحديث.

عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **يأتي على الناس زمان، القابض على دينه كالقابض على الجمر"**

(محمد ناصر الدين الألباني، 1995، ص645)

2.3. الشعر العربي

أ/ الشعر العربي القديم:

لقد تفاعل عيسى لحيلح مع التراث الشعري العربي وأعجب بالعديد من أعلامه (كالمتنبي، وامرئ القيس هذا الأخير الذي حقق من خلال قصائده شهرة كبيرة " وذلك لغنى تجربته الأدبية والحياتية، حيث تحول إلى شخصية نموذجية في رحلة الشعر العربي القديم والحديث، إذ استلهم الشعراء أشعاره بأساليب مختلفة ومتنوعة"(**إصطيف عبد النبي، عدد02، يوليو 1996)**

ويتناص الشاعر **عيسى لحيلح** مع قول امرئ القيس في معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرام في عرصـــاتها وقيعانهـا كأنه حب فلفــل

(ديوان امرئ القيس، ص110- 111)

وذلك في قوله في قصيدة " **نداء إلى الطيب المتنبي":**

قفا نبك... قد ولىً الحبيب مجافيا وأبقى فؤادي في عراء مناديا

وما شفـــائي رسم قديم و إنّـــما بكائي لمن صادت بضحك وائيا

وتا لله مــا أبكي ربــابــا ومية ولكني المخدوع أبكي بكائيا

(عيسى لحيلح، 2018، ص 11)

إذا كان بكاء امرئ القيس على ذكرى خلانه فبكاء لحيلح بكاء المغترب في عقر داره...

بكاء المخدوع بكل تلك الوعود التي تعلق بها فلم يجدها سوى سرابا منسوجا يزين واقعا مريرا سرعان ما تعرى تاركا من ورائه أحلاما دارت في فلكه باحثة عن غد جديد .

ويأتي المتنبي الشاعر والفارس والحكيم، صاحب الأمثال السائرة والمعاني النادرة، هذا الشاعر ملأ الدنيا وشغل الناس، حيث نجد كبريات قصائده المشهورة تتناص مع قصائد عيسى لحيلح في مواضع عديدة فتعطيها زخما متميزا، وتشحنها بالمعاني التي خلدها الزمن.

وتناص عيسى لحيلح في القصيدة السّابقة **" نداء إلى أبي الطيب المتنبي"** مع المتنبي في قوله:

ونامت نواطير بـ" مصر" وغيرها وأعطت عناقيدا خصيا وخاصيا

(عيسى لحيلح، 2018، ص18)

فقراءتنا لهذا البيت الشعري يوقفنا عند قول المتنبي الذي اشتهر به في هجاء " كافورا":

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقير

(ديوان المتنبي، 1983، ص 337)

فالمتنبي في هذا البيت يهجو كافورا الذي تحالف مع عساكر الصليبيين واليهود، وكأن الشاعر عيسى لحيلح من خلال استحضاره لهذا البيت يشكو من الأوضاع السائدة في تلك الفترة ويعبر عن أسفه لما جرى للأمة العربية؛ إذ كانت تذل الكريم وتكرم الذليل.

ب/ الشعر الجزائري الحديث:

من نماذج التداخل النّصّي بين عيسى لحيلح والشّعر الجزائريّ الحديث التّداخل مع شعر **عبد الله حمّادي** ، هذا التناص الذي أخذ شكل الاستمداد الإشاري والتشرّب الدلالي . ويبدو ذلك بوضوح في قول **عيسى لحيلح** :

تحزب العشق يا ليلى من تحزبه فالعاشقون تقاضوا حق ما ذرفوا

(عيسى لحيلح، 1985، ص 87)

فهذا البيت يستمد إشارته ودلالته من قول **عبد الله حمادي** في ديوانه **" تحزب العشق يا ليلى"**

تحزب العشق يا ليلى فحيكموا تباعد الهجس منه قيد أسفار

(عبد الله حمادي، 1984، ص 109)

3.3. الأمثال والحكم:

انتشرت في الثقافة العربية جملة من الأشكال النثرية، تتمثل في الأمثال والحكم وتبنى الأمثال إما حول قصة واقعية أو حادثة معروفة في التاريخ الإنساني.

وقد وظف عيسى لحيلح المثل الشعبي" **أبخل من نادر**" في قصيدته " **نداء أبي الطيب المتنبي**"

" أبا الطيب"... الأيام أعطت (موادرا) وعز عليها أن تقدم (طائيا)

(طاهر الجزائري، 2012، ص 75)

ففي الشطر الأول استحضر المثل الشعبي الذي يضمنه المثل الشعبي الذي يقول" أجود من حاتم" وهو حاتم الطائي ويضرب به المثل في الكرم إذ كان أجود العرب فكأن الشاعر هنا يشكو من كثرة البخلاء في عصره ولا يوجد أي كريم في ذلك العصر.

4. جماليّات التّداخلات النّصّيّة في شعر لحيلح:

ليس من الممكن أن تدرس أي ظاهرة فنيّة بمعزل عن وظائفها الجماليّة ،التي تنهض بها وتساهم من خلالها في تطوير النّصوص الإبداعيّة.

وفيها ياتي عرض لبعض جماليّات التّداخل النصّي قي شعر عيسى لحيلح.

1.4.تكثيف التّجربة الشّعريّة:

كثير من الشّعراء الّذين بلغوا غاياتهم في تكثيف تجاربهم الشّعرية بفعل التّناص ، نتيجة انفتاح نصوصهم على أصوات الآخرين . ولعلّ الشّاعر عيسى لحيلح خير مثال على ذلك ونجد مثل هذا النصّ المفتوح على الصّوت الآخر قول **لحيلح:**

.يقول :

كَأَنّهُ رَجْعُ وَشْمٍ فِي عَرَوقِ يَدٍ أَو مِنَ بَلَى قَدَمٍ قَدْ جَدّدت صُحُفُ.

(عيسى لحيلح ، 1985 ، ص61)

وهو هنا يحاكي ويعارض **طرفة بن العبد** إذ يقول :

لِخَوْلَة أطْلَالُ بِبُرْقَة تهمّد تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ.

(طرفة بن العبد ، 2000، ص23.)

وقول زهير في معلّقته :

وَدَار لَهَا بِالرَّقمتَيْنِ كَانّهـا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مُعْصَمِ.

(زهير بن أبي سلمى ، 1986 ، ص76)

ذكر عيسى لحيلح هذا الطّلل وشبّهه بوشم في عروق يد ، وقد ردّد وجدّد بعد تمحاله لأن الرّجع هو الوشم المجدّد والمردّد .

2.4. إيقاظ الذّاكرة الشّعريّة :

إنّ تنمية وعي الشاعر والقارئ بالماضي التّراثي ، وامتلاكهما نفس اللّغة والتّقاليد الأدبيّة المتوارثة ، يسهم في ربط التّواصل بينهما ، فكلّما استحضر الشّاعر تجارب

ما ، أيقظ في أذهان متلُّقيه تلك التّجارب الدّفينة فيهم وجعلهم يسهمون ويشاركون في إنتاج نصّه ثانية .

وفي النّموذج الآتي نسجّل حضورًا لأكثر من نصّ تراثيّ في قول عيسى لجبلح :

وَدع (أمامة) آن البيْنُ يَا كَلَفُ

وَلْتَبْكِ اصْلًا كَمَا حَلُّوا قَدِ انصرفوا .

وَاذْرَف دُمُوعَك فِي جُود و فِي كرم

إنّ الكِرَامَ إِذَا خَانَ الصِّحَابُ وَفَوْا

واسْتَنْطِق الرَّبْعَ هَلْ بِالرَبْعِ مِنْ أحَدٍ

غَلَا التّمَامُ وجذم الحَوْضِ وَالسّعَفُ

كأنه وَجْعُ وَشْمٍ في عُرَوقِ يَدٍ

اَوْ مِنْ بِلَى قِدَمٍ قَدْ جُدّدَتْ صُحُفُ

عَيْنَاكَ .. مَابَالُ عَيْنَيْكِ العَمَى بهما ؟

دَمْعٌ جَرَى أمْ دَمٌ مِن شَو قِهِم يَكِفُ

دَعْ ذَا وَألِبْ شُعُوبًا فِي مَرَابِضِهَا

مِنْ هَمّهَا الجِنْسُ وَالتّصْفِيقُ وَالعَلَفُ

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَهَا

وَاسْتَبِق أَهْلَكَ حَيْثُ المَاءُ وَالعَلَفُ.

(عيسى لحيلح ، 1985 ، ص 59)

هذا النّسيج مزيج نصوص شعريّة تعود إلى العصر الجاهليّ ، يذكّرُنَا بِهَا الشّاعِرُ وَيُعِيدُ إحيَاء هذه النّصوص بحلّة عصريّة برؤية الشّاعر الخاصّة ، وهذه النّصوص المتداخلة لا يمكننا تجاهلها في تحليلنا .

فنصّ عيسى لحيلح هو إعادة كتابة للعديد من النّصوص الشّعريّة الجاهليّة . ومن بينها قول الأعشى (ت629م) في لاميّته الشّهيرة :

وَدَعْ هُرَيْرَة إنّ الرّكب مُرْتحَلُ وَهَلْ تُطِيْقُ وَدَاعًا اَيّها الرّجُلُ ؟

(ديوان الأعشى، 1980 ،ص144)

كما يتداخل مع قول الأعشى في قصيدته (أوصيكم بالضّيف والجارو القتال) :

.....

والجَارُ أوصيكم بِالجَار ،إنّ له يَوْمًا مِنَ الّدَهْرِ يُثْنِيه ، فَيَنْصَرِفُ .

ديوان الأعشى، 1980 ،ص144

وفي قول لحيلح :

وَاسْتَنْطِقِ الرّبْعُ مِنْ احَدٍ إلّا التّمَامُ وَجدّم ِالحَوْضِ والسّعَفُ .

فيه تداخل نصّي مع قول زهير بن أبي سلمى :

أَثَافِي سَعْفًا فِي مَفَرَسِ مِرْجَلٍ ونُؤْيًا كَجَدْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثُلَّم ِ

فَلَمّا عَرَفَتُ الدّار قُلْت لِرَبْعِهَا أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحًا أَيُّها الرّبْعُ وَاسْلم

(زهير بن أبي سلمى ، 1986 ، ص76)

وفي قول عيسى لجبلح :

كأنّهُ وَجْعُ وَشمٍ في عُرُوقِ يَدِ أو مِنِ بِلَى قِدَمُ قَدْ جَدَّدَتْ صُحُفُ .

يذكّرنا بقول طرفة بن العبد في قوله :

لِخَوْلَةُ اَطْلَالِ بِبُرقَةِ ثُهْمَدُ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

(طرفة بن العبد ، 1986 ، ص19)

كما يتداخل مع قول لبيد بن ربيعة العامريّ في معلّقته :

وَجَلا السّيولُ عَنِ الطّلُولِ كَأنّهَا زُبُرٌ تَجِدُ مُتُونُهَا اقْلَامُهَا .

أوْ وَجَعُ وَاشمَةٌ أسف نُؤُورُهَا كِفَفًا تَرّضَ فَوّقَهُنّ وِشَامُهَا .

عَرِيْتُ وَكَانَ بِهَا الجَمِيعُ فَابِكَرُوا مِنْهَا وَ غُودِرَ نُؤْيُهَا وَتَمَامُهَا .

الزّوزني ، 1985 ، ص222

وَأمّا قول لحيلح :

دَعْ ذا وَاَلِبْ فِي مَرَابِضِهَا مِنْ هَمِّهَا الجِنْسُوَالتّصْفِيقُ وَالْعَلَفُ .

دَعْ المَكَارِمَ لَا ترْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاسْتَبِقِ أهْلَكَ حيْثُ المَاءُ وَالعَلَفُ .

فهو يُذكّرُنَا بقول الحطيئة :

دَع المكارم لا تَرْحَلْ لِبُغيَتِها وَاقْعُد فَإِنَّكَ الطَّاعِمُ الكّاسي

(ديوان الحطيئة ، 1981، ص108)

وهكذا بتّضح أنّ تشكيل هذا النّصّ . نصّ لحيلح . يعتبر أصداء لقراءات سابقة ، وهذا يجعلنا نُقرُّ بأبعاد مقولة النّقد المعاصر الّذي يؤكّد على أنّ كلّ ما هو جديد في الأدب ليس إلّا مادّة قديمة صيغت مرّة أخرى في ثوب جديد .

6. خاتمة

من الصّعوبة بمكان تحديد مفهوم جامع شامل مستقل لمصطلح التّداخل النّصّي فهو ممارسة نقديّة تتطلّب رصيدا معرفيّا وزادا لغويّا ثريّا.

والنّصّ الشّعريّ عند عيسى لحيلح هو نسيج ومصبّ لغويّ لمختلف النّصوص الّتي تمثّل لعدّة ثقافات وخلفيّات وعلاقات وطقوس ورموز سابقة ، استقرأها الشّاعر وتفاعل معها فأحال إليها مرّة وحاورها مرّات أخر.وقد كان القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف أهمّ مرجع ثقافيّ عند عيسى لحيلح ، فقد تأثّر به واستلهم منه لإثراء تجربته الشّعريّة ، وقد فعل ذلك ليكشف للقارئ أنّ القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشّريفة يمثّلان أرضيّة ثقافيّة غنيّة تدعوه لسعة الاطّلاع وليحرّك نصوصه من حيّز الأحادي المغلق إلى حيّز المتعدّد المنفتح ، فهو استحضر هذه النّصوص الّتي استولت على ذاكرته لاستجابات ثقافيّة ، ومن ثمّ فهو يبيّن أنّ القرآن الكريم ثقافة أزليّة لا تموت بموت النّصّ الحاضر ، فهذه النّصوص تحافظ على شعره لتجعله مرجعيّة ثقافيّة صالحة لكلّ زمان ومكان. وبعد القرآن والحديث الشّريف شكّل الشّعر العربي والأسطورة والأمثال والحكم

مرجعيّة أخرى للتّداخل النّصّي في شعر لحيلح .فغدت نصوصه فسيفساء نصوص عربيّة قديمة معاصرة وعربيّة حديثة معاصرة ونصوص جزائريّة .

وقد تراوحت جماليّات التّداخلات النّصّيّة في شعر عيسى لحيلح بين تكثيف التّجربة الشّعريّة ، وإيقاظ الذّاكرة الشّعريّة وإنتاج دلالات جديدة ، لأنّ الشّاعر. كان متّصلا بواقعه كثيرا ويتفاعل مع كلّ أحداثه الإيجابيّة والسّلبيّة ، وقد نجح في تجسيد أهمّ جماليّات التّداخل النّصّي ألا وهي استحضار درر الشّعر العربيّ من كلّ عصوره ، وبعثها في حلّة جديدة من أجل تأكيد استمرارها وتنشيط الذّاكرة القارئة لها.

7. قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش لقراءة نافع

أوّلا: المصادر:

لحيلح عبد الله عيسى ، 1985،غفا الحرفان ، دط ، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

لحيلح عبد الله عيسى ، 2018 ، وبقيت وحدك في المطار، ط1 ، دار السناء للطباعة والنشر والتوزيع.

لحيلح عبد الله عيسى ،2013 ، دط ، سبع معلقات للجاهلية الأخيرة، الجزائر، سطيف : دار الرّوائع ، سطيف .

الأعشى ،1980 ، الدّيوان ، دط ، بيروت : دار بيروت

الألباني محمد ناصر الدين ، 1995 ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، م2 ، ط1 ، الرّياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

الحطيئة ،1981 ، الدّيوان ، شرح : أبي سعيد السّكري ، بيروت : دار صادر.

حمّادي عبد الله ، 1984 ، تحزب العشق يا ليلى، ط1 ، الجزائر، قسنطينة : دار البعث .

الحنبليّ عبد الرحمان بن رجب ،دت ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وبراهيم باجس، دط ، مؤسسة الرسالة.

زهير بن أبي سلمى ، 1986 ، الدّيوان ، دط ، بيروت : دار بيروت

الشّيبانيّ أحمد بن حنبل أبو عبد الله ، دت ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج1 ، دط ، مصر:مؤسّسة قرطبة.

طرفة بن العبد ، 1986 ، الدّيوان ، دط ، بيروت : دار بيروت

المتنبي، 1983 ، الدّيوان ، دط ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر.

2.6. المراجع :

الجزائريّ طاهر، 2012 ، أشهر الأمثال، دط ، القاهرة : هنداوي للتعليم والثقافة.

الزّوزني ، 1985 ، شرح المعلّقات السّبع ، ط5 ، بيروت : مكتبة المعارف

سعود عبد الجابر، 2000 ، النقد الأدبي القديم-أصوله و تطوره- ط1 ، عمّان ، الأردن : مطبعة الحامد.

طبّانة بدوي ، دت ، السرقات الأدبية، دط ، بيروت : دار الثقافة.

مباركي جمال ، دت ، التّناص وجماليّاته في الشّعر الجزائريّ المعاصر ، دط ، الجزائر ، المكتبة الوطنيّة الجزائريّة .

مرتاض عبد الجليل ، دت ، التّناص ، دط ، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة

المعداوي أحمد ، 1993 ، أزمة الحداثة في الشّعر العربيّ الحديث ، ط1 ، المغرب : دار الآفاق :

مفتاح محمّد ، 1992 ، تحليل الخطاب الشّعريّ _ استراتيجيّة التّناص _ ، ط3 ، المغرب ، الدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ

نمر موسى ابراهيم ، 2005 ، آفاق الرؤيا الشعرية، دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1 ، فلسطين رام الله : وزارة الثقافة الفلسطينية ، رام الله، ط1.

واصل صام حفظ الله حسين ، 2011 ، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر_ أحمد العوضي نموذجا_ ط1 ، دار غيداء للنشر و التوزيع .

3.6. المقالات :

عبد النبي إصطيف ، 1996 ، خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث، مجلة فصول، مجلد05، عدد02.